

الفصل الثاني

مجال الدراسة

كان غرضنا الأولي من هذا العمل أن ندرس أطفال الشعب ، نفسياتهم وميولهم ، نقائصهم وكمالاتهم ، مجرى حياتهم من يوم الى يوم وهل مستقودهم هذه الحياة من يوم الى يوم الى تكوين شعب مصري متماسك قوي كلفه لمواجهة الحياة ، أم مستقودهم على العكس من ذلك الى التدهور والانحطاط من مستوى اجتماعي وضيع الى مستوى آخر ينخفض درجات عنه ، كنا نريد أن نفهم الحالة أولاً ثم نرى هل من الممكن علاج هذه الحالة ، أم هي حالة ميثوس منها لا يرجي لها علاج فنكف عن العمل للخروج ونستريح .

كان غرضنا الأول من هذا العمل الدراسة لأكثر ولا أقل ، فاستنبطنا بهرناجماً يؤدي بنا الى هذه الغاية لأكثر ولا أقل ، فلم نكن أولاً نريد اصلاً وانما دراسة ، وقد فصلنا عملنا على هذا القدر فقط وعلى ذلك شعرنا أنه يكفي أن نتصل بالصبيان ، وأن يكون الاتصال بيننا وبينهم عن طريق وبصبييل يحبونه ويقبلون عليه كل الاقبال ، وهو بعد ينفعهم الى حد ما ، ويسد عندهم حاجة طبيعية تلزم لكل كائن حتى في سن الطفولة وهي اللعب فقد اتفق الاجتماعيون والمربون في العالم على أن الطفل يحتاج للعب كما يحتاج للأكل والحماية والرعاية سواء بسواء ، واذن فقد نستطيع أن نصصل الى غرضنا عن طريق توفير حاجة صبيان الحي الى اللعب ، وبعد فجو اللعب أحسن الأجواء لاتصال الناس بعضهم ببعض ففيه تظهر فضائل الناس ومعايبهم ، وفيه ينطلق الناس على سجاياهم ، وبالطبع كنا نريد أن نفهم هؤلاء الصبيان على حقيقتهم دون تصنع .

قسمنا الصبيان الى فريقين وكانوا حوالى عشرين صبياً ، واقمنا حدود

الملاعب وافهناهم هذه الحدود كيف لا يصبح تجاوزها وعند أي حد يقف اللاعب أو يتقدم ، ثم أخذنا نشرح لهم قواعد اللعب وقد استغرق هذا الشرح بعض الوقت ، فكنا نرى العجلة وفراغ الصبر في أعينهم ، إذ كان لا يهتمهم قواعد أو قوانين أو علاقات أو حدود وإنما كنا نرى منهم أنهم لا يطيعون كلاماً وكل ما يرجونه منا أن نضع الكرة أمامهم ثم نتنحى نحن ان شئنا ، وهم قادرون على اللعب بالكرة وان كانت من النوع الذي يلعبه اللاعب باليد وليس بالقدم ولكن ما يهتمهم هم من هذا ، بينما تستوي الكرات عندهم يلعبون بها كما يحلو لهم .

من الغريب أن جمهرة المدرسين ونظار المدارس لا يؤمنون باللعب ، وإن كانوا يؤمنون به فهم لا يدلون بتصرفاتهم على هذا الايمان أو ربما يؤمنون باللعب للصغار ولكن مطالب التدريس والأدارة وما تكلفهم الوزارة من اعمال كل هذه تجعلهم يفضلون اللعب للصغار ، وعلى أي حال هناك شعور عام بالاستخفاف باللعب وبالازدراء له والتشكركه ، حتى أصبح الصغار يلعبون خلسة أو يلعبون حين يجب ان يعملوا وفي كل لحظة يختمسونها ، مما جعل اللعب في عرفهم جريمة يتنكر لها الكبار وشيئا يندارى إذا امكن مداراته ، وكثيرا ما سمع الكاتب من الآباء الشكاوى المرة التي تنصب على ان اولادهم يلعبون ، وكثيرا ما شعر بأن المقصود من هذا الكلام إنما هو ايمان الصبي في دروسه أو عدم اقباله عليها اقبالا يرضى الوالد فاللعب عند هؤلاء مرادف للكسل وبغض العمل وتضييع الوقت وافساد المستقبل والحياة ، وبالاختصار هو شيء يجب أن يقضى عليه أو على اقل تقدير يستنقص منه بقدر الامكان .

ومن نقالة القول أن ندلل على اهمية اللعب للصغير فان هذه قضية مفروغ منها ، ولا نظن أن قوة في الأرض تستطيع أن تحرم الصغار منه وتنجح في ذلك ، فالصغير لا بد أن يلعب سواء برضاء الكبار أو بغير رضاهم وأن لم يستطيع اللعب برضاهم فسوف يلعب في غفلة منهم وبقدر ما تسمح

به احواله وان لم يلعب بجسمه وبذنه فهو يشغل مخه وقواه النفسية باللعب
وبتخييل اللعب فتفسد حياته من اولها إلى آخرها، فنود لو تنبيه الشعب كله
إلى ان اللعب ضرورة بيولوجية وانه يحسن بالشعب أن يواجه الحقائق
ولا ينهرب منها.

واللعب نشاط يجب ان ينظم تنظيماً حسناً وتوضع له السراخ وترسوم له
الخطط بحيث يفيد منه الجيل الجديد أكبر فائدة وأتمها. وبحيث تبقى آثار
هذا النشاط في نفوس الناشئين مدى حياتهم. فيؤثر في مجرى الحياة التأثير
المطلوب. وبالطبع لا يمكن للصبيان انفسهم أن ينظموا ألعابهم على هذا
الوضع لا يمكنهم أن يضعوا الخطط التي بمقتضاها تتشكل حياتهم بالشكل
المرغوب، وبعبارة أخرى لا يمكنهم أن يربوا نفوسهم بالقريبة عملية يساهم
فيها طرفان احدهما الصبيان والثاني البالغون المهتمون بمستقبل الامة والذين
يعملون على تكييف احيائها القادمة.

والعب الاطفال إذا لم يكن موضوعاً على قواعد سليمة وإذا لم يباشر
تنفيذه قوم مفكرون اصبح نوضي لا ضابط لها ولنتج منه شر كثير، إذ
تختلط به عناصر ليست منه وتنتج فيه وتكسبه طابعا ولو نأ يتناقض مع
القواعد الاجتماعية السليمة الحالية والمستقبلية ويكون من شأنه أن يخالف لامة
مشاكل اجتماعية تعجز عن مناهضتها والتغلب عليها.

و اول شيء يدخل في باب اللعب إذا لم يكن منظماً خاضعاً لقواعد معقولة
وبارشاد قادة أكفاه إنما هو التخريب والهدم للاملاك والأشياء، تارة
للجهل بنتائج الاعمال وتارة للانفعالات النفسية عند الطفل تلك الانفعالات
التي تنتج عن حب المجازفة والمخاطرة وعن رغبته في مزج حياته التي تسير
على وتيرة واحدة ببعض المثيرات النفسية فيعتبر من باب اللعب عند الطفل ان
يرجم زجاج احسدى الدور أو المحال التجارية بالطوب والحجارة ثم يولى
هاربا بقدر ما يسمح له به قدماءه، ثم يجتمع مع زملائه يتندرون ويضحكون

عسا فعلوا وبتفنيهم في الهرب وتفصيل البوليس واصحاب الشأن ، وكلما
ازدادت ثقتهم بانفسهم في هذا المجال ازداد اقدامهم على هذا الضرب من
التسلية ، وحوادثهم في تعطيل الاتوموبيلات وتخريب مصابيح الشوارع
وخلع قضبان اسوار البيوت والحدائق وتحطيم الاشجار الصغيرة والكبيرة
وخلع الابواب وافساد الازرار الكهر بائية حيثما يجدونها وغير هذه كثيرة
لا يمكن حصرها .

وخطف الاشياء وسرقتها عنصر مهم من عناصر اللعب عندهم ، وقد
تكون الاشياء مما يمكن استعمالها أو استبدالها أو أكلها كما هي ، وقد لا
تكون منها فائدة لهم على الاطلاق ونظن هنا أن الحاجة والجوع عنصر
مهم في هذا التصرف ولكننا مع ذلك نظن أن الاساس الذي تقوم عليه هذه
التصرفات هو اللعب والرغبة في الحصول على مشيرات نفسية تجهل الحياة
عندهم ذات معنى ومستطابة ، فهندما تتفق جماعة منهم على استغفال بائع
متجول مثلا وسرقة بعض المأكولات منه أو خطفها فالدافع لهذا التصرف
اللعب لمجرد اللعب أو لا ، ثم اللعب الذي تنتهي إلى غرض يفيدون منه ماديا
ثانيا ، أو على أي حال لهذا العمل دوافع كثيرة احدها وربما اهمها الدافع
الطبيعي للعب .

قد يتفق معنا القارىء على أن هذا الذي يرويه في الكلمات القليلة القادمة
لعب أو قد لا يتفق ولكننا نظن أن من دوافعه اللعب على أي حال وقد
سمعت بهذه الحادثة من احد الصبيان الذين ساهموا فيها .

كان بائع خس يتجول في أحد أحياء القاهرة المزدهمة باطفال الشوارع
فاتفق فريق منهم على استغفاله والضحك عليه والتلاعب به بقصد سرقة بعض
الخس منه ليأكلوه ، فذهب اليه جماعة منهم واحاطوا بعنقه واخذوا
بفواصله ، في الثمن ويظهرون التمتع والتردد للثمن الغير المعقول الذي يطلبه
البائع للخسة الواحدة ، بينما كانت المفاوضة في الثمن بين البائع والصبيان

تسير في مجراها العادي شبك أحد الأولاد أحداها بسنارة معه تتصل بخيط طويل طرفه في يد صبي منهم يختفي وراء أحد المنازل ، ثم اعطى الإشارة فأخذ المختفي يجمع الخيط ويسحب الخس إلى مقره ، وبعد أن وصلت إلى مستقرها سالمة ترك أحد الصبيان العربية وذهب إلى زميله المختفي حيث مكث هو ثم عاد بالسنارة صبي آخر لم يره التاجر من قبل واخذ هو الآخر يفاوض في الثمن بينما السنارة تعمل عملها في الخس ذاهبة آتية إلى أن حصل الاطفال على ما يكفيهم من هذه السلع وإذا بهم يقطعون المفاوضات مع التاجر جملة ويرفضون الشراء لغلاء الثمن .

لا نظن أن هذا الضرب من النشاط يدخل في باب السرقة لمجرد السرقة أو لشر يتأصل في نفوس الأولاد يطلق عليه العرف والتقاليد والاديان لفظ السرقة وإنما هو في الواقع لعب من وسائله السرقة ومن اغراضه الاكل والضحك والتندر واشباع غريزة النشاط واللعب ، وبعد فهذا الضرب من النشاط هو مما يفخر به الأطفال ويروونه عندما لا يجدون حرجا من روايته وعندما يستوثقون من أن نتائج روايته لا تعود عليهم بعقوبة أو ضرر من أى نوع وبعبارة أخرى لا يشعرون الصبي أن في هذا التصرف شيئا ينجل منه أو يستنكف له حقا من عناصر هذا النشاط السرقة ولكن المثل العليا في رأيهم لا تتنافر مع السرقة واذن فهم راضون عما فعلوا من جميع الوجوه .

وهناك ضرر آخر ينشأ عن عدم تنظيم اللعب ووضعه تحت ملاحظة قادة صالحين وهو الضرر الصحي والبدني ، فاللعب ضرورة بيولوجية من شأنها توجيه النمو الطبيعي في جموعه وفي تفصيلاته ، ولكن له قسواعد صحية أن لم يراعها الشعب ويحرص عليها ويوفرها لصغارها أصبح اللعب في مظهره دليلا على حاجة الطفل اليه وليس وسيلة لقضاء هذه الحاجة على أحسن الوجوه ، شأنه في هذا كمشأن الاكل ، يأكل الطفل اللذة التي يستخلصها من الأكل ولحاجته للاكل دون نظر إلى الفائدة ، والضرر الذي

هذه يهود عليهم من الأكل في مجموعة أو من أكل صنف معين بالذات ، فلو أطلق العنان للنصي ولو توافرت له أطيب المأكولات لأكل باستمرار طول الوقت دون تفكير في عواقب هذا العمل لأنه لا يملك من الثقافة والنضوج العقلي ما يمكنه من تقدير العواقب ، فليس اذن جميع ضروب اللعب تصلح لجميع الأطفال على السواء في حالاتهم البدنية والصحية المتباينة، فليس اذن للأفراد طاجاتهم الخاصة بهم لتنمية بعض أعضاء الجسم المعينة وترك بعضها الآخر لفرضة قادمة يكون فيها المجهود اعود عليها منه الآن ، أو قد تكون بعض الأعضاء في حالتها الراهنة لا تحتاج الى اجهاد ونشاط عنيف لسبب طارئ أو لأن زمن النشاط لم يحن لها بعد .

وبعد فاللعب في كل مكان في الحجرات الضيقة أو في الشوارع المزدهمة أو في التراب الذي يثور فيملاً الهواء ويسد على الأطفال مسالك التنفس ويملاً عيونهم بما يهود عليها بالضرر الكثير واللعب بالطوب والحجارة وبقايا الأشياء من ملابس وخلافه ، كل هذه حالات لا بد وان تتناهى مع ما يجب لهؤلاء الأطفال من العناية البدنية والصحية ، هذا بخلاف نقل الأمراض والعدوى وبثها من فرد الى فرد ونقل القمل من صبي الى صبي ومن منزل الى منزل ومن شارع الى شارع ، وعلى أى حال من الخطأ الفاحش ومن قبيل غمض العيون عن الحقائق الا يفكر الشعب في هذه الأمور ويتخذ لها عدته وينظمها ويشرف عليها بحيث تصبح هذه الضرورة الطبيعية عند الأطفال وسيلة لتربيتهم ونفعهم .

واللعب من غير ارشاد البالغين وبغير اشرافهم وسيلة من انجح الوسائل في شيوع الفوضى بين الأطفال وبذر بذور العادات والميول والاتجاهات النفسية السيئة القبيحة التي لا يمكن لشعب يهتم لشئونهم الراهنة والمستقبل أجياله المقبلة أن يرتضيها أو يركن اليها ، هذه حالة يكاد الانسان لا يصدقها في بلاد مثل مصر له حكومة برلمانية رشيدة وله رأى فيما يسير في البلد وعنده من الذكاء ما يجعله يقدر عواقب الأمور .

للعب وسيلة مهمة من وسائل التربية ولسنا نفهم كيف نترك هذه الوسيلة للأطفال أنفسهم يستغلونها في تربية أنفسهم واعدادها لحياة قومية تعود أضرارها أو فوائدها على بلادنا ، لا يمكن أن يترك هذا النشاط دون توجيه والاطمئنى السئ منه على النافع ، ولا بد أن يطمئنى السئ إذا اعوز الأطفال التوجيه والارشاد .

وعلى من يشك في هذا أن يراقب أطفال الشوارع في لعبهم فيرى بنفسه الاتجاهات الضارة بالحياة الاجتماعية كيف تبتدر بذرتها وكيف تنبت وتترعرع وتؤتى ثمارها البغيضة الضارة كيف انها السبب المباشر في كثير من العمل الاجتماعية والاخلاقية التي نشكو منها من الشكوى دون أن يكون في استطاعتنا أن نعالجها فمثلا يشكو الموظفون عندنا من شيوع المحسوبيات في البلد ومن استغلال الموارد للأقارب والأصهار والمعارف السكل من له على كبير دالة أو شبه دالة : ويشكون من المداهنة والرياء ومن انعدام الشخصية امام كبير أو ذى نفوذ يظن الفرد أو يخيل اليه أن المداهنة والرياء هما خیرما يقابل به هذا الكبير أو صاحب النفوذ .

كنت في الترام ما بين الجزيرة والقاهرة وكان في صالون الترام معنا رجل تظهر عليه الوجاهة ورفعة الشأن : وكان يقعد بشكل يشعر الجميع انه خير منهم جميعاً : يضع رجلا على رجل بشكل يشغل مكانين ويضايق الركاب الآخرين . يدخن ويتحدث بصوت عال يملأ المركبة كلها : ويعلن على رؤوس الجميع ما عمل وما سوف يعمل وما هو بسبيل عمله من ذلك النوع الممجوج من الحديث : وكانت الناس تدخل العربة اناس عجائز لا يحتملون مشاق الوقوف : وسيدات مصريات كثيرات يحسن بكل مصري أن يقدم لهن مقعده ، كل هذا وصاحبنا يتحدث ويشير يديه ويدل على حديثه بحركات ثقيلة من جسمه حتى كأنه يملك عربة الترام وباقي الناس متظلمون عليه ، واذا برجل آخذ يدخل العربة وإذا بصاحبنا ينتفض واقفاً كمن

رأى غفرياً أوجنياً ، وإذا هو يسيل حلاوة ورقة ودعة ويقول « تفضل
 بإسعاد الباشا سعد مكاني » وإذا بالباشا يتمنع ولكن صاحبنا يقذل ويرجو
 ويداهن ويمسح في (مسح الجوخ) حتى يقبل سعادة الباشا ويحتل المكان ،
 وإذا بحديث صاحبنا عبارة عن تملق ممجوج قبيح يدور حول صحة سعادته
 وصحة النجل المبروك وعن عمل الباشا وراحة الباشا وإن فضل الباشا على
 صاحبنا دين في عنقه وأنه لولا الباشا لما كان للحياة طعم أو معنى إلى آخر
 هذا الحديث الذي لا يكاد مفضل أن يخطيء في كذبه وتفاقه ، ثم ينزل سعادة
 الباشا فيقول صاحبنا جواباً على سؤال صديقه « هذا رئيسنا الأكبر وهو
 رجل دنيء ابن كلب لا يريد خيراً بأحد » .

لا يمكن أن تشيع هذه الظاهرة في بلد تستقيم فيه الحياة الاجتماعية إذ
 أنها تتنافى والحياة السليمة ، ولا يظن القارئ أن هذا الشاب ملوم في هذا
 فاللوم فيه واقع أيضاً على سعادة الباشا وأمثاله من طبقات الشعب العالية
 والوضيعة إذ أننا نجد أمثال هذا الشاب وأمثال هذا الباشا في كل لفنة في
 بيئتنا . ونجدها في الشارع بين صبيان الحارات والأزقة لابل هي الدستور
 الذي يخضع له أطفال الأمة والجو الذي يعيشون فيه واللبن الذي رضعه
 نفوسهم ، وهذه حالة لا بد وأن تستديم بين الأجيال المقبلة إذا تركنا
 الأطفال يلعبون وينشطون دون قيادة أو توجيه أو ارشاد .

وبعبارة أخرى ينتج من اللعب البعيد عن الارشاد نوع من الفوضى
 ينال فيها القوي كل ما يريد ، ويداري فيها الضعيف القوي بكل وسائل
 المداورة ويراجيه بجميع أنواع المراجاه بغض النظر عن قيمة الوسائل وموضهها
 من الرجولة والكرامة الانسانية ، ونحن نظن أن كثيراً من العلاقات
 الجنسية الشاذة بين الأطفال إنما ترجع إلى هذه الفوضى في النشاط الحر
 بينهم ، ذلك النشاط الذي نسميه لعباً ، ولا يمكن إلا أن تكون حياة
 الأطفال فوضى لأن التنظيم معدوم فيها ، ولأنه لا رابط لها فليس هنالك

من ينظم ومن يضع خطط التنظيم ويباشر تنفيذها حتى تسير في الحدود
الموضوعة لها .

وعلى هذا كان من برنامج جماعتنا أن تنظم هذا النشاط وتضع له القواعد
التي تبعد الأضرار الناجمة منه . أو على الأقل تستبعد ما يمكن استبعاده من
هذه الأضرار ، وهذا التنظيم من شأنه أولاً أن يستبعد الفوضى أو على الأقل
يحصرها في ضيق الحدود ، ثم من شأنه ثانية أن يفتح أمامنا باب الدراسة
على مصراعيه فنستطيع أن نشاهد صبي الشارع عن كثب ونراقب تصرفاته
ونحاول أن نرد هذه التصرفات الى الدوافع النفسية المعقولة أو القريبة من
المعقول ، حتى إذا استقامت لنا الحقائق وخرجنا من دراستنا بشيء يركن
اليه امكننا أن نرسم الخطط لما يتلو هذا من خطوات .

و كان من برنامجنا أيضاً أن نلقي على هؤلاء الصبيان نوعاً من الأحاديث
والقصص لاعد لهم به والكاتب يعرف نوع القصص والأحاديث التي تنلي
على مسامع الأطفال في القرى ويظن انها تشبه ما يلقي على أطفال الشوارع
في المدن الآن ، ويظن لابل يؤكدها إذا كان مما سمعه في صغره يشبه ما يسمعه
الأطفال الآن . انها كلها تدور حول اللصوص والسرققة والقتل والفسق
وما يشبه هذا من تصرفات الناس ، وتدور حول الانتقال السريع في الفضاء
بحيث يقطع الانسان ما بين مصر والعين في لمح البصر وحول الكنوز
المطمورة والتعاويد التي تكشف عن هذه الكنوز ، وعن الرجال العجائز
الذين يحرسون هذه الكنوز ، وعن الرجل الذي انسخه قرداً أو كلياً
أو حيواناً وكثير غيره مما يدور حول حياة الجن ودولة الجن .

فأردنا أن نلقي دلونا في الدلاء ونساهم بقسط في مجموع الثقافة التي يفتشها
عليها أطفال الشعب فنقدم لهم نوعاً آخر من الطعام العقلي قد ينفعهم أو على
أقل تقدير قد يترك أثراً ولو ضئيلاً في نفوسهم ، فوضعنا برنامج أحاديث
وقصص يتناول حياة الأبطال من مصريين وعرب وشرقيين وغربيين وحياة

المخترعين واختراناتهم وما قاسوا في سبيل تقديم هذه المنافع للناس وهكذا إلى آخر هذه الاحاديث التي لا تنتهي والتي من شأنها أن توسع آفاق اطفالنا إلى حد ما ، وتربط ما بينهم وبين الحياة الواسعة ببعض الصلات وأن تكن الصلات قابلة وشمولية .

ثم نقدم لهم بعض المجالات المصورة والكتب البسيطة حتى يقرأ منهم من يستطيع القراءة ويتسلى بالصورة من لا يقرأ وحتى تشجع بينهم إلى حد ضئيل بعض المعلومات القليلة التي يمكن ان يستخلصوها من الكتب والمجلات .

ووضعنا نظاما لعرض بعض الافلام السينمائية للتسلية والترويح عن النفس ، وقد لا يكون منها فائدة الا هذا ، ومع ذلك فتحسن كونا نشعر أن هذا مشروع ويحسن عمله إذ لا بأس على الإطلاق من التسلية لمجرد التسلية وللترويح عن النفس دون أي غرض آخر ، وبالطبع لا يخاو عرض الافلام المنتقاه من فائدة عقلية أو نفسية قد تعود على هؤلاء الاطفال .

ومن اهم عناصر برنامجنا الاتصال الشخصي بيننا وبين الصبيان فردا فردا و كونا نريد أن نتحدث إلى الصبيان واحدا واحدا ، ونريد أيضا أن نسمع لحديثهم واحدا واحدا كونا نرغب في أن نقدم للصبي فرصة ليتحدث عن نفسه وعمله يهمل وعمله لا يريد عمله وما يحسه وما يحب وما يكره . كونا نريد أن نعرف رأيه في القضايا وفي الرذيلة ما يشعر به نحو والديه واخوته وعمله أن كان يعمل أو عن مدرسته أن كان طالبا ماذا يفهم عن القانون والحكومة ورجال الحكم والبوليس ، وما هو نوع العلاقات بينه وبين هؤلاء جميعا . كيف يتخيلها وماذا يظنها ، ما رأيه في المستشفيات والعيادات الطبية وهل يذهب اليها إذا مرض أو لا يذهب ، وماذا يمنعه أن كان لا يذهب ، وما هو الممرض وكيف يعالجه إذا كان يعالجه ، إذا وماذا يصنع والده معه وماذا يصنع هو مع والده والديه واخوته ، وما نوع العلاقات في المنزل هل هي مما يستريح اليه أو هي من النوع الذي تضيق به حياة الفرد .

هذه جميعا اشياء لا يتحدث بها الطفل لانه لا يجد من يتحدث اليه فيها .
ومن حق الطفل أن يتحدث ويصر عن شعوره واحساسه بالحياة التي تحيط
به ، ومن حقه أن يكون له صديق عاقل يركن اليه ويثمه ما يجيش في صدره
من الانفعالات النفسية ، من حقه أن يصف الدنيا ويصف علاقته بها
والروابط العديدة التي تربطه مما يحيط به وما يحسه من هذه العلاقات
والروابط ، من حقه أن يفعل هذا ومن واجب المربين أن يصفوا اليه
ويتقدروا هذه الامور حق قدرها ، ثم من واجبهم أن يوفقوا ما بين هذا
الطفل الصغير وبين ما يحيط به من عوامل وقوى ما استطاعوا إلى التوفيق
سبيلا ، وقد كنا لا نألوجهدا في التوفيق ما امكنا ولكننا كما معنين بسامع
رأيه في هذه الشؤون حتي نستوفي دراساته وحتى نجمع الحقائق التي نستطيع
في ضوءها أن نكون لا نفسنا رأيا في موضوع اطفال الشعب

كان هذا برنامجنا الذي اخذنا انفسنا بتحقيقه وهو برنامج متواضع
كل التواضع لا ندعى من ورائه اصلاحا أو شبه اصلاح ، ولا نزعم اننا
اتينا فيه بحديد وانما اردنا منه أن نصل باطفال الشعب عن قرب لتدريسهم
أو لا وقبل كل شيء ، ولنخدم من نستطيع أن نخدمه منهم ثانيا ، وبطبيعة
الخال كانت خدمتنا لهم محدودة بمقدرتنا وبطاقتنا ، ثم لم يكن عددهم كبيرا
حتى نزعم اننا نساهم في اصلاح البلاد بحال من الاحوال فقد كانوا لا
يتعدون الثلاثين صبيا ، وكان المكان الذي نتصل بهم فيسه لا يصلح لعمل
معهم مجده نافع ، وكانت ادواتنا ضئيلة قليلة لا تتمدى بعض الالعاب والمجلات
الكتب ، وكنا نذهب اليهم مرتين أو ثلاث في الاسبوع فقط ، وتمكث
معهم الساعتين في المرة الواحدة أو ما يزيد قليلا عن ، الساعتين وكنا نعمل
بيهم ما بقي من النقود التي جمعناها شيء وما دام في طاقتنا دفع اجر الارض
والبواب وما دام في استطاعتنا شراء ما يلزم من الالعاب والمجلات لهم ، ثم
ننقطع إذا فرغت ايدينا من النقود ، حقا أن هذا لم يحدث الا في مرات
قليلة وفي شهرين أو ثلاثة من السنة ويكون هذا عادة قبيل عشاء العديس

المشهور واذكر ان الاطفال استجلبوا مرة في مثل هذه الفترات فاسألوا
لنا وفدا يبحث عنا في بيوتنا وأما كن عملنا يتصرفون عن اسباب انقطاعنا
عنهم .

استعمرينا في هذا العمل ثلاثة أو اربع سنين نجمع فيها المعلومات عن حالة
الصهي المصري المسيحية والاخلاقية والاجتماعية ، وندون مشاهداتنا ثم في
نفس الوقت تؤدي لعدد قليل من الاطفال بعض الخدمات الضئيلة التي
يستطيع نفر قليل لاشسان له ولا ذكر أن يؤديها ذو كنا نحرس في كل
علاقاتنا بالاطفال كل الحرص على الكرامة الانسانية فيهم ، فلم نقدم لهم
نقودا أو مأ كولات أو ملابس من أي نوع فقد كانت جميع علاقاتنا عبارة
عن علاقة الند بالند وعلاقة الانسان الكريم بالانسان الكريم .

وقد خرجنا من كل هذا بمعلومات وحقائق يجدها القاريء في
الفصل التالي .